كتاب ذم الكبر والعجب ومدح التواضع

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول

في ذم الكبر

قال الله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (1).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا؟ قال : «**إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمص الناس**» .رواه مسلم (2).

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ : «**بطر الحق**» . دفعه ورده على قائله «**وغمص الناس**» احتقارهم .

وقال ﷺ : «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر**» .رواه البخاري ومسلم (3).

وقال ﷺ : «**احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة في ضعاف الناس ومساكينهم ، فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ، ولكليكما علي ملؤها**» رواه

(1) سورة القصص ، الآية : 83.

(2) أخرجه مسلم (1/ 93، رقم 91) .

(3) البخارى (4/1870 رقم 4634) ، ومسلم (4/ 2190، رقم 2853) ، وأخرجه أيضا الطيالسي (ص 174، رقم 1238) ، وأحمد (4/ 306، رقم 18750) ، والترمذى (4/ 717، رقم 2605) وقال : حسن صحيح . والنسائى (6/ 497، رقم 11615) ، وابن ماجه (2/ 1378، رقم 4116) ، وابن حبان (12/ 492، رقم 5679) ، والطبرانى (3/ 235، رقم 3255) . وأخرجه أيضًا : البيهقى فى شعب الإيمان (6/ 285، رقم 8174) .

مسلم [1].

وقال ﷺ : «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا**» . رواه البخاري ومسلم [2].

وقال ﷺ : «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ ، فَهْوَ يَتَجَلجلُ**[3] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .رواه البخاري ومسلم [4].

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ : «**مرجل رأسه**» أي : ممشطه «**يتجلجل**» بالجيمين أي : يغوص وينزل .

وقال ﷺ : «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم**» .رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح [5].

وقال ﷺ : «**يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس**».[6]

---

(1) أخرجه مسلم (4/ 2186، رقم 2846) ، والترمذى (4/ 694، رقم 2561) ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : أحمد (2/ 276، رقم 7704) ، والبخارى فى الأدب (1/ 195، رقم 554) ، والنسائى فى الكبرى (6/ 468، رقم 11522) ، وابن حبان (16/ 519، رقم 7477) .

(2) البخارى (5/ 2182، رقم 5451) ، ومسلم (3/ 1653، رقم 2087) ، وأخرجه مالك (2/ 914، رقم 1629) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 144، رقم 6122) . وأخرجه أيضًا : الطيالسى (ص 325، رقم 2487) ، وأحمد (2/ 409، رقم 9294) ، والنسائى فى الكبرى (5/ 491، رقم 9723) ، وأبو عوانة (5/ 242، رقم 8561) .

(3) يتجلجل : أى يغوص فى الأرض ويضطرب ويتحرك فى نزوله فيها .

(4) البخاري (5789) ، ومسلم (5588) .

(5) أخرجه الترمذي (4/ 362، رقم 2000) وقال : حسن غريب . والطبرانى (7/21 رقم 6254) . وأخرجه أيضًا : ابن عدى (5/ 16، ترجمة 1189 عمر بن راشد أبو حفص) وقال : هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . والرويانى (2/ 258، رقم 167) .

(6) أخرجه أحمد (2/ 179، رقم 6677) ، والترمذى (4/ 655، رقم 2492) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الحميدى (2/ 272، رقم 598) ، والبخارى فى الأدب المفرد (ص 196، رقم 557) .

وقال ﷺ: «**يقول الله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار**».[1]

ويروى عن النبي ﷺ: «**بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدأ والمنتهى، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين، بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رغب يذله**»[2].

قوله: «تخيل». أي: تخيل أنه خير من غيره، «واختال» تكبر «واعتدى» أي: جاوز قدره وظلم «وسها» أي: غفل عن الله والطاعة «ولها» من اللهو «وعتا وطغى» تجاوز الحد «ونسي المبتدأ والمنتهى» أي: ابتداء خلقه وهو النطفة وانتهاء حاله الذي يئول إليه، وهو التراب «يختل الدنيا بالدين»، أي: يطلب الدنيا بعمل الآخرة «يختل الدين بالشبهات» أي: جعل إتيان الشبهات أساس دينه حتى كأنه يصطاده بها ويقع في الحرام بالتأويلات «طمع» صفة للعبد وصفه بالمصدر مبالغة، وقيل: هو على حذف مضاف، أي: ذو طمع وذو هوى، وقوله: «رغب» بضم الراء وسكون الغين الشره والحرص على الدنيا، ويروى بفتحها بمعنى الرغبة.

وقال ثابت: بلغنا أنه قيل: يا رسول الله، ما أعظم كبر فلان! قال: «**أليس بعده الموت؟**».

(1) أخرجه أحمد (2/ 414، رقم 9348)، وهناد فى الزهد (2/ 421، رقم 825)، وأبو داود (4/ 59، رقم 4090)، وابن ماجه (2/ 1397، رقم 4174). وأخرجه أيضا: ابن حبان (12/ 486، رقم 5671).

(2) أخرجه الترمذى (4/ 632، رقم 2448) وقال: غريب. والحاكم (4/ 351، رقم 7885) وقال: صحيح. والبيهقى فى شعب الإيمان (6/ 287، رقم 8181). وأخرجه أيضًا: الطبرانى (24/ 156، رقم 401).

وقال بعض السلف : أول ذنب عصي الله به الكبر ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [1].

وقال : سفيان بن عيينة [2]: من كانت معصيته في شهوة فأرجو له التوبة ؛ فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيا فغفر له ، ومن كانت معصيته في كبر فأخشى عليه اللعنة ؛ فإن إبليس عصى متكبرا فلعن[3].

وقال أبو بكر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين ؛ فإن صغير المسلمين عند الله كبير .

وكان الأحنف[4] يجلس مع مصعب بن الزبير[5] على سريره ، فجاءه يوما

(1) سورة البقرة ، الآية : 34.

(2) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، أبو محمد : محدث الحرم المكي . من الموالي . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفي بها . كان حافظا ثقة ، واسع العلم كبير القدر . ترجمته في : طبقات ابن سعد 5/ 497، التاريخ الكبير 4/ 94، التاريخ الصغير 2/ 283، الجرح والتعديل 1/ 32، 54 و4/ 225، حلية الأولياء 7/ 270، الفهرست لابن النديم 1/ 226، تاريخ بغداد 9/ 174، صفوة الصفوة 2/ 130، وفيات الأعيان : 2/391 ـ 393.

(3) تهذيب الكمال 11/ 191.

(4) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي ، وقيل : هو الضحاك ، والأحنف لقب له ، أسلم فى حياة النبي ﷺ ولم يره ، وكان من قواد جيش على يوم صفين .ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 7/ 93، وابن عبد البر : الاستيعاب 1/ 144، وابن الأثير : أسد الغابة 1/ 68.

(5) هو : مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشى ، أبو عبد الله : أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام . نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق . وولاه عبد الله البصرة (سنة 67هـ) فقصدها ، وضبط أمورها ، وقتل المختار الثقفى . ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستهما . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسير إليه الجيوش ، فكان مصعب يفلها . حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه (محمد بن مروان) فعرض عليه الأمان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأبى مصعب ، فشد عليه جيش عبد الملك ، في وقعة عند دير=

ومصعب مادٌّ رجليه فلم يقبضهما، وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة، فرأى أثر ذلك فيه، فقال: عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين.

وقال الحسن: عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين، ثم يتكبر يعارض جبار السماوات، وقد قيل ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[1]. هو سبيل الغائط والبول.

وقال ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: كفى بالرجل إثما إذا قيل له: اتق الله. قال: عليك بنفسك.

قصة إغراق فرعون حين تكبر وتجبر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2]. أي: استكبر وتعظم في الأرض ـ أي أرض مصر ـ قيل: كان فرعون إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف، عليها الأقبية من الديباج مخوّصة بالذهب، وقيل: كان له ثمانمائة ألف غلام وكل غلام على فرس عتيق على كل فرس طوق من ذهب.

=الجاثليق (على شاطئ دجيل، من أرض مسكن) وطعنه زائدة بن قيس السعدى (أو عبيدالله بن زياد بن ظبيان) فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة (معمر ابن المثنى): كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.

ترجمته في: طبقات ابن سعد 5/ 182، طبقات خليفة (2067)، تاريخ البخاري 7/ 350، الأخبار الموفقيات 525 وما بعدها، المعارف 224، الأغاني 19/ 122، تاريخ بغداد 13/ 105.

(1) سورة الذاريات، الآية: 21.

(2) سورة القصص، الآية: 4.

قال سعيد بن جبير [1]، ومحمد بن المنكدر : كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ، ولو كان له في تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط .

وروي أن الله ـ عز وجل ـ لما أراد إهلاك فرعون وقومه أمر موسى ـ عليه السلام ـ أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلا ، فخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره ، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانا ، ما بين رجل وامرأة ، فلما علم فرعون بهم خرج في ألف ألف وسبعمائة ألف ، وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل فسارت بنو إسرائيل حتى وصولوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فقالوا يا موسى أين ما وعدتنا هذا فرعون إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا فأوحى الله إليه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [2]. وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو إسرائيل كل سبط في طريق وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا ، وقال كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالطاقات يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم

(1) هو : سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الوالبى ، من أكابر أصحاب ابن عباس وأئمة الإسلام فى التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، وقد قال ابن عباس حين أتاه أهل الكوفة يسألونه : أليس فيكم سعيد بن جبير؟! . كان مقتله على يد الحجاج بن يوسف سنة أربع وتسعين ، وقيل سنة خمس وتسعين ، واختلفوا فى عمره يوم قتل ، فقيل : كان عمره وقتذاك تسعا وأربعين ، وقيل سبعا وخمسين . ترجمته عند ابن سعد : الطبقات الكبرى 6/ 256، وأبى نعيم : حلية الأولياء 4/ 272، والمزى : تهذيب الكمال 10/ 358.

(2) سورة الشعراء ، الآية : 63.

كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين، ثم إن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقا قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أُدرك عبيدي الذين أَبِقوا، ادخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه، وقيل: قالوا له: إن كنت ربا ادخله كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم، ولم يكن في خيله أنثى، فجاء جبريل على فرس أنثى وذيق، فتقدمهم وخاض البحر، فلما شم أدهم فرعون ريحا اقتحم البحر في أثرها، ولم يملك فرعون من أمره شيئا، وهو لا يرى فرس جبريل، واقتحمت الخيول خلفه في البحر، فجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى خاضوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر أمر الله البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فأغرقهم أجمعين، وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ، وهو بحر القلزم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم.

روي عن ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**لما أغرق الله فرعون قال**: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1] فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر[2] فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة»[3].

فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون فأمر الله البحر، فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾. أي: نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ﴿بِبَدَنِكَ﴾[4] بجسدك لا روح فيه قيل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه في درعه فصدقوا.

(1) سورة يونس، الآية: 90.

(2) حال البحر: أى طين البحر.

(3) أخرجه أحمد (1/ 309، رقم 2821)، والترمذى (5/ 287، رقم 3107)، وقال: حسن. وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (1/ 222، رقم 664)، والطبرانى (12/ 216، رقم 12932).

(4) سورة يونس، الآية: 92.

الباب الثاني

في ذم العجب

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**»[1].

وقال ﷺ: «**إذا قال الرجل هلك الناس فإنه أهلكهم**»[2].

قال الشيخ محيي الدين النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ: الروايات المشهورة برفع الكاف، وروي بنصبها؛ قال: وهذا النهي لمن قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس وارتفاعا عليهم، فهذا هو الحرام، وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزنا عليهم وعلى الدين فلا بأس به، هكذا فسره العلماء.

وقيل لعائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ: متى يكون الرجل مسيئا قالت: إذا ظن أنه محسن.

وقال ﷺ لأصحابه: «**ما منكم من أحد ينجيه عمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[3].

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (5/ 328، رقم 5452)، قال الهيثمي (91/1): فيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 471، رقم 745)، وأخرجه أيضًا: القضاعي في الشهاب (1/ 215، رقم 326)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 343) وقال: هذا حديث غريب من حديث قتادة.

(2) أخرجه مالك (984/2 رقم 1778) وأحمد (465/2 رقم 10006) والبخاري في الأدب المفرد (267/1 رقم 759)، ومسلم (4/ 2024، رقم 2623)، وأبو داود (296/4 رقم 4983). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (13/ 74، رقم 5762).

(3) أخرجه ابن حبان (2/ 60، رقم 348). وأخرجه أيضًا: أحمد (2/ 343، رقم 8510) قال الهيثمي (356/10): رجاله رجال الصحيح.

وقال ﷺ: «**إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**[1] ـ أي كبرها وفخرها بالآباء ـ كلكم بنو آدم وآدم من التراب»[2].

وروي أن رجلا من بني إسرائيل يقال له: خليع بني إسرائيل لكثرة فساده مرّ برجل آخر يقال له: عابد بني إسرائيل، وكانت على رأس العابد عمامة تظله، فلما مر الخليع قال في: نفسه أنا خليع بني إسرائيل، وهذا عابد بني إسرائيل، فلو جلست إليه لعل الله يرحمني، فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بني إسرائيل، وهذا خليع بني إسرائيل كيف يجلس إلي؟ فأنف وقال له: قم عني، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد.

وروي أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوا لله لا يغفر الله لك فأوحى الله تعالى أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر لك.

قال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **روضة المشتاق**: ورد في الخبر أن الله سبحانه وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على بعض أنبيائه: قل للعالم لا يعجبنك علمك؛ فإن أعجبك فأخبرنا عن أجلك متى هو؟ وقل للغني: لا يعجبك غناك؛ فإن أعجبك فارزق عبادي رزق يوم واحد، وقل للقوي: لا تعجبك قوتك؛ فإن أعجبتك فلم غلبتك شهوتك؟ وقل للفطن المعول على تدبيره: لا يعجبك تدبيرك، وفطنتك فإن أعجبك فما لك عمرت الدار الفانية وأخربت الدار الباقية.

---

(1) عبية الجاهلية: فخرها وتكبرها ونخوتها. «الجعلان»: مفردها جعل، وهى حشرة سوداء تدير الخراء بأنفها.

(2) أخرجه أحمد (2/ 523، رقم 10791)، وأبو داود (4/ 331، رقم 5116)، والبيهقى (10/ 232، رقم 20851). وأخرجه أيضًا: الترمذى (5/ 735، رقم 3956)، والرافعى (62/2)، والخطيب (187/6).

روي أن إبليس قال: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث أطالبه بغيرهن؛ إذا أعجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسي ذنوبه.

قال أبو الليث: من أراد أن يكثر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق منه فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه.

الثاني: ينظر إلى نعم الله تعالى التي أنعم الله عليه بها، فإذا نظر إلى نعمه استقل عمله واشتغل بخوف عدم القبول لم يعجب به.

الثالث: أن يخاف ألا يقبل منه، فإذا اشتغل بخوف عدم القبول لم يعجب بنفسه.

الرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك، فإذا أخاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كثر عجبه، فكيف يعجب المرء بعمله ولا يرى ما يخرج له يوم القيامة، وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءته كتابه.

الباب الثالث

في التواضع

قال الله تعالى : ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[2].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[3] رواه مسلم .

وقال ﷺ : «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه**» . رواه مسلم[4].

وفي **الصحيحين** عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعله .

وقال ﷺ : «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم**» قال أصحابه وأنت؟ قال :

---

(1) سورة الحجر ، الآية : 88.

(2) سورة الحجرات ، الآية : 13.

(3) مسلم (4/2198 رقم 2865) ، وأخرجه أبو داود (4/ 274، رقم 4895) ، وابن ماجه (2/ 1399، رقم 4179) . وأخرجه أيضًا : البزار (8/ 424، رقم 3495) ، والطبرانى (17/ 364، رقم 1000) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (10/ 234، رقم 20872) ، وفى شعب الإيمان (5/ 285، رقم 6672) .

(4) مسلم (4/ 2001، رقم 2588) ، وأخرجه أحمد (2/ 235، رقم 7205) ، والترمذى (4/376 رقم 2029) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (8/ 40، رقم 3248) . وأخرجه أيضًا : الدارمى (1/ 486، رقم 1676) وأبو يعلى (11/ 344، رقم 6458) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (8/ 161، رقم 16423) ، وفى شعب الإيمان (6/ 258، رقم 8071) .

«**نعم ؛ كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**» . رواه البخاري [1].

قال أبو الليث ـ رَحِمَهُ الله ـ : الحكمة في رعي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم حتى ينظر شفقتهم على خلقه وهو أعلم بهم ، فإذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم الله أنبياء ، وجعلهم مسلطين على بني آدم في أمر دينهم .

وقال ﷺ : «**لو دعيت إلى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو أهدي إلي كراع أو ذراع لقبلته**» .رواه البخاري [2].

وقال ﷺ : «**الكرم التقوى ، والشرف التواضع ، واليقين الغنى**» [3].

وقال ﷺ : «**أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب : الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا**» [4].

وقال ﷺ : «**إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يرفع به الكبر عن نفسه**» .

وقال ﷺ : «**إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ؛ فإن ذلك مذلة لهم وصغار**» .

وقال ابن المبارك ـ رَحِمَهُ الله ـ : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك عليه بدنياك فضل وأن ترفع نفسك

(1) أخرجه البخارى (2/ 789، رقم 2143) ، وابن ماجه (2/ 727، رقم 2149) .

(2) أخرجه البخارى (2/ 908، رقم 2429) ، وأحمد (3/ 209، رقم 13200) ، والترمذي (3/ 623، رقم 1338) ، وقال : حسن صحيح . وابن حبان (12/ 103، رقم 5292) ، والبيهقي (6/ 169، رقم 11725) ، والضياء (7/ 19، رقم 2396) وقال : إسناده صحيح .

(3) ابن أبى الدنيا فى اليقين عن يحيى بن أبى كثير مرسلًا .

(4) أخرجه الطبرانى (1/ 256، رقم 741) بلفظ : «أربعٌ لا يُصَبْنَ إلا بعَجَبٍ الصمتُ وهو أولُ العبادةِ والتواضعُ وذِكْرُ اللهِ وقلةُ الشيءِ» .

عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

وروي أن قريشا تفاخرت عند سلمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ يوما فقال سلمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لكن خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم إلى الميزان، فإن ثقل ميزاني فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم.

وقال أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لم يكن شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ كنا إذا رأيناه لم نقم له لما نعلم من كراهته لذلك.

وقال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام.

وقال أبو الدرداء ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه.

وقال ثابت بن أبي مالك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : رأيت أبا هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أقبل من السوق وعلى رأسه حزمة من حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: وسع الطريق للأمير يا ثابت بن أبي مالك.

وقال بعضهم: رأيت عليا ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفة فقلت له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين. فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمله.

وقال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ خرج من السوق وبيده الدرة وعليه كساء فيه أربع عشرة رقعة، بعضها من أدم. وعوتب في إزار مرقع فقال: يقتدي به المؤمن ويخشع به القلب.

روي عن قيس بن أبي حازم أنه قال: لما قدم عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ الشام تلقاه عظماؤها فقلت له اركب هذا البرذون يراك الناس فقال إنكم ترون الأمر من هنا وإن الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء، خلوا سبيلي.

وروي أنه جعل بينه وبين غلامه مناوبة فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمامها ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ويركب الغلام فيأخذ عمر بزمامها ويسير فرسخا ، فلما قرب من الشام كانت نوبة الغلام فركب الغلام وأخذ عمر بالزمام فاستقبله الماء في الطريق فجعل يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة ، فخرج أبو عبيدة بن الجراح ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ وكان أميرا على الشام ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا نختار أن يروك على هذه الحالة فقال عمر إنما أعزنا الله بالإسلام فلا أبالي بمقالة الناس .

وحكي أنه لما أهم قيصر ملك الروم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أرسل رسولا لينظر أحواله ويشاهد أفعاله ، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال : أين ملككم؟ فقالوا : ما لنا ملك ، لنا أمير خرج إلى ظاهر المدينة . فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس فوق الرمل الحار ، وقد وضع درته كالوسادة تحت رأسه ، فلما رآه على تلك الهيئة وقع الخشوع في قلبه وقال : رجل تكون ملوك الأرض تهابه لا يقر لهم قرار من عظيم هيبته تكون هذه حالته! لكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت ، وملكنا جار لا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا ، أشهد أن دينكم لدين حق ولولا أني أتيت رسولا لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا . وأسلم .

وروي أن عمر بن عبد العزيز ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أتاه ليلة ضيف ، وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال عمر : ليس من كرم الرجل أن يستعمل ضيفه . قال : أفأنبه الغلام؟ قال : هي أول نومة نامها . فقام عمر وأخذ البطة وملأ المصباح زيتا ، فقال الضيف : قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟! فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ، وخير الناس من كان عند الله متواضعا .

وروي عنه أنه كان قبل أن يستخلف كانت تشترى له الحلة بألف دينار فيقول: ما أجودها لولا خشونة فيها، فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول: ما أجوده لولا لينه، فقيل له: أين لباسك وموكبك وعطرك؟ فقال: إن لي نفسا ذواقة تواقة، وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلا الطبقة التي فوقها، حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات تاقت إلى ما عند الله.

وقال إبراهيم بن أدهم: لم أفرح في عمري إلا ثلاث مرار؛ المرة الأولى: كان علي لباس شعر فقعدت في الشمس ونشرته لأفليه فلم أره لشدة القمل، والمرة الثانية: كنت في مركب فكان فيها رجل إفرنجي فجعل يأخذ بلحيتي ويهزها، ثم يقول: هكذا نفعل بالتيوس في بلادنا ففرحت إذ لم ير أحقر مني، والمرة الثالثة: كنت في بعض الطرق وإذا بجندي قد وقف بي وقال لي: أين العمران؟ فأشرت إلى المقابر فأخذ الجندي يضرب رأسي ضربا شديدا فطأطأت رأسي وجعلت أقول: اضرب رأسا طالما عصى الله.

تم الربع الثالث وهو ربع المهلكات والحمد لله وحده، ونبدأ إن شاء الله الربع الرابع وهو ربع المنجيات نجانا الله من النار بفضله وكرمه آمين.

❊ ❊ ❊